دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الآثار الحفصية في المرسى
المصدر:	مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الناشر:	مجمع اللغة العربية
المؤلف الرئيسي:	ابن عاشور، محمد الفاضل
المجلد/العدد:	ج 17
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1964
الصفحات:	23 - 36
رقم MD:	228177
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الآثار الإسلامية، تونس، تاريخ تونس، الدولة الحفصية، قرطاجة، المدن الإسلامية، الطرق الصوفية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/228177

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الآثار الحفصية في المرسى

للأستاذ محمد الفاضل بن عاشور
عضو المجمع

[المرسى قبل العهد الحفصى — فى التاريخ الحفصى — مقبرة حفصية أندلسية — العبدلية — الجامع وما تحته — اقتراحات]

المرسى قبل العهد الحفصى

فى الشمال الشرقى لمدينة تونس ، يمتد رأس ينتهى إلى البحر على مسافة خمسة عشر كيلومترا ، على عشرة كيلومترات فى أوسع عرضه ، هو القرن الشمالى لمقعر الخليج المكون لمرسى تونس . ويقع طرف زاوية هذا الرأس متجها لى الشرق ، حيث تقوم منارة سيدى أبى سعيد ، ثم ينزل أحد ضلعيه إلى حلق الوادى جنوبا بغرب ، والبحر شرقيه ، ويصعد ضلعه الآخر إلى رأس قمرت شمالا بشرق ، والبحر شماليه . فينحصر هـذا الرأس بين بحيرة تونس والبحر الأبيض المتوسط ، وسبخة اريانة أو قمرت ، ويتصل باليابسة من جهة الغرب : حيث تقع منه تونس واريانة وشطرانة وربى وادى مجردة المشرفة على طريق بنزرت .

ذلك هو الفضاء الذى كانت تملؤه العاصمة القديمة للبلاد الإفريقية : مدينة قرطاجنة . وتلك النقطة القصوى منه التى نسميها « جبل المنار » أو « جبل سيدى أبى سعيد » هى التى تعرف عند الجغرافيين الغربيين برأس قرطاجنة . وحواليه تقع المراسى الحصينة التى عرفت بها مدينة قرطاجنة فى تاريخها القديم ، وكانت مراسى عديدة كما يقول المؤرخون . والشق الشمالى لهذا الرأس بين جبل سيدى أبى سعيد وجبل قمرت هو الذى يسمى الآن المرسى .

وبقيت آثار مدينة قرطاجنة ، لما تحول العمران عنها إلى مدينة تونس ، أواخر القرن الأول الهجرى ، خرائب ودمنا بين مرابع وحقول لا يعمرها إلا فلاحون وفدادون يأتونها انتشارا من مدينة تونس ، العاصمة ، أو تسربا من أراضى وادى مجردة . وكذلك وصفها ابن حوقل فى القرن الرابع ، والبكرى ، فى القرن الخامس : « قرى رفيعة مفيدة عامرة وأصناف ثمارها متناهية فى الطيب » .

أما العوالى المشرفة على ساحل البحر ، فقد أقيمت فيها ربط ومحارس من بناء الفاتحين العرب أو من تعميرهم مما تركه الحاكمون الماضون .

فمن المعلوم أنه ، منذ القرن الثانى ، انتشرت الربط على كامل الساحل التونسى ، بالشمال وبالشرق ، وعندنا على ذلك شهود فى رباط

المنستير، الذى هو من آثار القرن الثانى، ورباط سوسة ، الذى هو من آثار أوائل القرن الثالث. ويذكر اليعقوبى فى القرن الثالث ، أنه كان على طول الساحل ، ما بين صفاقس وبنزرت ، قصور يقرب بعضها من بعض يعمرها العباد والمرابطون .

وكذلك وصفها البكرى فى القرن الخامس . وزاد فأفاد بالسلسلة المتصلة من الربط والقصور والمحارس ، المقامة على مراسى البلاد المغربية كلها ، ما بين الأندلس والإسكندرية. وذكر أن منها ربطا معمورة بالعباد الزهاد منذ فتحت إفريقية .

وإن أولى السواحل بإقامة الربط والمحارس لساحل هـذه الرقعة من الأرض ، الذى يهدد على غلوة سهم مدينة تونس ، ويتصل بالخليج الذى حفره العرب بالبحيرة وأجروا فيه الماء إلى مدينة تونس ووصلوه بالبحر جنوبى قرطاجنة لاسيما وقد كانت، منذ العهد الرومانى والبيزنطى منارة ذات أضواء مقامة على الطرف الشرقى للرأس : كما دلت على ذلك الحفريات الشاهدة بقدم أسس المنارة الموجودة اليوم. فيكون ذلك المركز الدقيق أولى المراكز بإقامة محرس يراقب منه البحر حتى تؤمن طوارقه على مدينة تونس. ومن هـذا كله نستطيع أن نفترض ، مطمئنين إلى صحة افتراضنا ، أنه قـد كان ، من أوائل القرن الثالث، على نقط من هذا الرأس محارس وربط ، لاسيما فى جبل المنار إذ نقدر أن عليه مثل أو قريبا من رباط سوسة ورباط المنستير .

وبذلك اجتمع لهـذا الرأس : من اتساع البسائط وسكينتها ، وارتفاع المشارف على البحر وروعتها ، ووفرة الأطلال وعظمتها ، وقصور الرباط وبركتها ، ما علق بها قلوب الزهاد والصالحين : من أهل الخلوة والسياحة والرياضة والمرابطة .

ففى مناقب العابد الصالح الشيخ محرز بن خلف المتوفى سنة ٤١٣ : أنه كان كثير الخروج إلى قرطاجنة ، والتردد بين اريانة ومنزل خارجة ، وأنه كان يخرج إلى قرطاجنة قصد الصلاة على الجنائز ، إذ يظهر أنها كانت مشهورة بمدافن الصالحين ومقصودة للتبرك بالدفن فيها ، مثـل المنستير . كما ورد فى المناقب المحرزية أيضا أن الشيخ محرزا كان يقيم حول الحنايا الواصلة إلى قرطاجنة ويعتبر بالأطلال اعتبارا يفيض أشعارا بليغة فى وصف الأطلال والملاعب والمعالم :

خليـلى مرا بالمدينـــة واسمعا
مـدينة قرطاجنـــة ثم ودعا
طلولا بها تبكى لفقـــدان أهلها
كما ندب الأطلال كسرى وتبعا

وعلى هذا السنن درج رجال التصوف بعـد الشيخ محرز . ففى القرن السادس جاء تلاميـذ الشيخ أبى مدين شعيب بن الحسن الأندلسى نزيل بجاية، صاحب الشيخ عبد القادر الجيلانى ودفين قرية العباد بظاهر تلمسان ، ومنهم أبو محمد عبد العزيز المهدوى وأبو سعيد خلف ابن يحيى الباجى ، فاتخذوا من الجبل الذى كان رأس قرطاجنة مقاما لهم ومنقطعا ، ولما توفى الشيخ عبد العزيز ثم الشيخ أبو سعيـــد دفنا

هنالك فاشتهر الجبل بذلك ونوه المؤرخون به وهم يسمونه جبل المرسى ، لأنه يتصل بمرسى قرطاجنة الذى سموه أيضا مرسى ابن عبدون أو مرسى جراح . ويسمونه جبل المنار للمنارة القديمة الموجودة إلى الآن التى قدرنا أن المحرس أو الرباط كان مقاما عليها . ولا ينبغى أن يغيب عن ملاحظتنا أن الشيخ عبدالعزيز المهدوى أصله من بلاد الساحل وأنه كان معتادا الإقامة فى رباط المنستير .

واستمر أهل الطريقة الصوفية ، أواخر القرن السادس ، يعمرون ذلك المحرس ويتبركون بالتعبد فيه والدفن بتربته . فقد ذكر الشيخ محيي الدين بن عربى الحاتمى فى كتاب الفتوحات المكية أنه زار تونس ، مرتين فى أواخر القرن السادس ، الأولى سنة ٥٩٠ ، والثانية سنة ٥٩٨ ، وأنه اجتمع فى المرتين برجال من أهل التصوف منهم الشيخ عبد العزيز المهدوى ، الذى يصفه الشيخ محيي الدين بالولى ، ويدعوه فى كتبه بقوله : "ياولي" وقد ذكر أن الشيخ عبد العزيز كان ينزل الخلوة فى بيوت المنارة المحروسة الكائنة بشرق تونس بساحل البحر . وينزل إلى الرابطة التى فى وسط المقابر وبقرب المنارة من جهة بابها [1] .

وقد وصف المنارة بأنها محرس على شاطىء البحر على نحو ميلين من مبدأ الحفرة المتصلة بمرسى نونس .

كما يذكر الشيخ محيي الدين أيضا أن رجلا صالحا مسنا كان رفيقا للشيخ عبد العزيز فى منقطعه يسمى سيدى جراح بن خميس اشتهر بالإقامة للرباط فى المرسى المسمى بمرسى عبدون وذكر الزركشى [2] هذا المكان بقوله : "مرسى الرجل الصالح سيدى جراح ويعرف المرسى المذكور فى القديم بمرسى ابن عبدون واشتهر بعده بسيدى جراح لملازمته الاحتراس به" وذكر جريدة من أعلام المدفونين بتلك المقبرة أوائل القرن السادس . وفى تاريخ ابن الشماع وتاريخ الزركشى ما يفيد أن كثيرا من العلماء دفنوا فى تلك التربة ومنهم من نقل إليها قصدا من تونس [3] .

والذى يفيده كلام ابن عربى فى الفتوحات وكلام الزركشى أن مرسى ابن عبدون الذى اشتهر بمرسى جراح كان قريبا من المنارة إلى جنوبيها لا إلى شماليها فيظهر أن الجبانة المقصودة هى إحدى المقبرتين الإسلاميتين اللتين توجدان الآن بقرطاجنة إحداهما مقابلة للقصر الملكى السابق ، من غربيه ، وفيها زاوية اقيمت منذ مائتين وخمسين سنة تقريبا على أنها ضريح الشيخ عبد العزيز المهدوى . والمقبرة الأخرى إلى شمالى الأولى تشرف على مرسى قرطاجنة الفينيق وربما زالت الآن ولكنها مرسومة فى تخطيط رسمى من وضع مصلحة قيس الأراضى أوائل القرن الحاضر .

(١) الفتوحات المكية ص ٩٩ ج ١ ط دار الكتب العربية .

(٢) تاريخ الدولتين ص ١٤ ط تونس .

(٣) الأدلة البينة النورانية ص ٩١ ط تونس وتاريخ الدولتين ص ٤٢ ط تونس .

فى التاريخ الحفصى

لقد تأتى لنا بما مضى أن نتصور أن الدولة الحفصية ابتدأت أوائل القرن السابع ، وفى رأس قرطاجنة أو جبل المنارة ، وحواليه ، ربط مقصودة ، ومقابر تزار ، وأعلام من العباد والزهاد علت بهم سمعة تلك المزارات والمقابر . وكانت النقطة القصوى ، وهى جبل المنارة ، مشهورة بذلك ، كما كان السفح الجنوبى لذلك الجبل ، ما بينه وبين مرسى تونس حيث يوجد مرسى قرطاجنة الفينيق القديم (بيرسا) الذى يظهر أنه سمى مرسى عبدون أو مرسى جراح ، مشهورا بمزاراته ، وخاصة مزار الشيخ عبد العزيز المهدوى .

أما السفح الشمالى لجبل المنار ، فيظهر أنه كان ، إلى ابتداء الدولة الحفصية أقل قصدا واشتهارا من السفح الجنوبى ، بحيث أن اسم المرسى لم يكن يطلق إلا على جبل الشيخ أبى سعيد كما فى الزركشى[1] . وحتى منتصف القرن التاسع كانت مقبرة جبل المرسى لا تصل الى السفح الشمالى ففى تاريخ الزركشى أن الشيخ أبا الحسن عليا الجبالى توفى سنة ٦٤٨ ودفن بجبل المرسى « بطرف جبانته » ومدفن الشيخ الجبالى المعروف الآن يقع فى منتهى الجبل عند ابتداء منحدر السفح الشمالى مشرفا على بلدة المرسى .

فالمشهور اليوم من أن الشيخ عبد العزيز المهدوى مدفون بالمرسى بشمالى جبل المنار على الزاوية المعروفة بشاطىء سيدى عبد العزيز ، أمر ليس له أصل من التاريخ ، وأن الناس جميعا كانوا متفقين على مدفن الشيخ عبدالعزيز بزاوية بيرسا بقرطاجنة حتى ان الأمير حسينا بن على ، فى أوائل القرن الثانى عشر ، بنى زاوية على ذلك القبر . إلا أن العلامة الصالح الشيخ صالحا الكواش فى القرن الماضى ، كان قدر لظن ترجح عنده أن مدفن الشيخ عبدالعزيز بالمرسى ، فى المكان الذى اشتهر الآن ، فتقبل الناس ذلك ، وبنى جدار محيط بالتربة التى عينها الشيخ صالح الكواش ، وابتدأ الناس يرغبون فى الدفن حوله من أواخر القرن الماضى . وأول من دفن فى تلك التربة هو قاضى الجماعة الإمام محمد بن سلامة سنة ١٢٦٦ وإنه لمن الطمع البعيد أن نؤمل الظفر بشاهد قبرية الشيخ عبد العزيز أو واحد من الذين دفنوا معه فى مرسى جراح ، ممن ذكر الشماع أو الزركشى . لأن نزول الإفرنج بقرطاجنة قد طمس معالم تلك القبور ، وان تخريب قرطاجنة بعد جلاء الفرنج عنها ، قد كان سببا فى تلاشى كثير مما على اديم تلك الأرض .

فليس عندنا ، حينئذ ، أثر ولا خبر يتعلق بشاطىء المرسى الشمالى لجبل المنار ، قبل الدولة الحفصية . وإن جملة ما فيها من الآثار يرجع إلى العهد الحفصى ، ويرتبط بأحداث شهيرة من تاريخ الدولة الحفصية .

فلنلم أولا : بخلاصة أطوار الحوادث ، مدة الدولة الحفصية ، لنربط بها ما يرجع اليها من الآثار : الموجودة فى المرسى ، أو التى ينبغى أن يبحث عنها خلال تلك الأرض .

قامت دولة الموحدين بمراكش على يد عبد المؤمن بن على سنة ٥٤١ واستولت على جميع بلاد الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط

(١) تاريخ الدولتين ص ٩٠ ط تونس

وتم استيلاؤها على البلاد التونسية سنة الاخماس ٥٥٥ وذلك بالاستيلاء على المهدية، و إجلاء الزمان عن سواحل البلاد، والقضاء على الدولة الصنهاجية. وسرعان ما فشت الاضطرابات فى الأندلس و إفريقية، بظهور ثورة ابن غانية الميورقى، فى عهد يعقوب المنصور بن عبد المؤمن . فلم يتم القضاء على تلك الثورة إلا فى عهد الناصر بن المنصور الذى خلص على عهده أمر البلاد التونسية لحكم الموحدين سنة ٦٠٣ ورجع الناصر إلى عاصمته مراكش، وقد نصب وزيره عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى واليا على إفريقية، وجعل عاصمته مدينة تونس . واستمرت ولاية تونس لعبد الواحد ولديه : عبد الله ثم أبى زكريا يحيى تابعة لخلافة الموحدين أبناء عبد المؤمن بمراكش إلى أن اضطربت أحوال دولة بنى عبد المؤمن وهاجت الفتن بالمغرب ، فانفصل أبو زكريا عن دولتهم سنة ٦٣٤ — واستقل بملك تونس، وفتح قسنطينه وبجاية والجزائر وتلمسان ، فأصبحت مملكته من برقة إلى حدود المغرب الأقصى . وكان أبو زكريا يطمع فى أن يمتلك المغرب الأقصى أيضا ، ويجمع بيده شتات الدولة الموحدية كما قال عنه ابن خلدون : "كان متطاولا إلى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسى الدعوة " وقال عنه فى فتح تلمسان : " اعتد ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين بمراكش وانتظامه فى أمره وسلما لارتقاء ما سمو إليه من ملكه وبابا لولوج المغرب على أصله » .

ونشأ عن اضطراب الدولة الموحدية تزعزع هائل فى البلاد الأندلسية فانتشرت الثورات والفتن والانتقاضات بين البلاد الباقية بأيدى المسلمين ، واغتنم الأسبان فرصة تضعضع الأمر ، واضطراب الكلمة فتكالبوا على ملك المسلمين يفتكون كثيرا مما بقى بأيديهم من البلاد والحصون ، فتساقطت كتندة و بلنسية ولوشة والمرية ومرسية وأشبيلية وقرطبة . وضعف موقف المسلمين فى الأندلس فتطلعوا إلى العدوة الافريقية ، وآنسوا فى سماء تونس نجما صاعدا وضاء من همة أبى زكريا الحفصى وقوته، فوجهوا إليه بآمالهم ورجوا استنقاذ الأمر بالانضمام إلى دولته الفتية فأرسل زيان بن مردنيش ، أمير شرق الأندلس سنة ٦٣٥ ، بيعته واستغاثته إلى أبى زكريا الحفصى بلسان كاتبه ابن الأبار ، الذى أنشأ فى ذلك قصيدته السينية الخالدة :

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا
إن السبيل إلى منجاتها درسا

وتتابعت بعدها بيعة سبتة و بيعة طنجة المرية و بيعة اشبيلية و بيعة غرناطة . وأصبح بذلك للدولة الحفصية فى بلاد الأندلس شأن عظيم . وزاد صيت الحفصيين علوا بالمشرق والمغرب فى عهد محمد المستنصر بن أبى زكريا ، وقوى الأمل فيه ، وورد عليه حازم القرطاجنى بمقصورته مثل مورد ابن الأبار بسينيته ، لولا أن نزول الفرنسيين على تونس سنة ٦٦٨ ، قد أوقف سير الدولة الحفصية نحو غاية مجدها ، وقضى عليها بالفقر ، واضطراب الأمر .

فبعد وفاة المستنصر سنة ٦٧٥ هـ ، لم يدم ابنه يحيى الواثق ، فى الملك ، إلا عامين وتخلى . ولم يكد ينتصب عمه أبو اسحاق ، حتى ظهر الثائر أحمد المسيلى المشهور بالدعى ، فانتزع ملك البلاد من الحفصيين .

ثم عاد الأمر إليهم فاستقر على ضعف نحوا من خمس وعشرين سنة فى عهد أبى حفص عمر وأبى عصيدة . ثم ابتدأ التنا حر بين أمراء البيت الحفصى ، وتغلب الأعراب على البلاد وتسلسلت الحروب والعداوات مع بنى عبد الوادى ، ملوك تلمسان ، وبنى مرين ملوك فاس ، إلى منتصف القرن الثامن ، حيث استولى السلطان أبو الحسن المرينى على البلاد التونسية ، فانقطعت الدولة الحفصية مرة أخرى . ثم عادت تتخبط فى الفوضى والجور والقصور حتى أشرفت على الدمار ، لولا أن تداركها أبو العباس أحمد ثم أبو فارس عبد العزيز وحفيداه : المنتصر وأبو عمرو عثمان ، أواخر القرن الثامن وطيلة القرن التاسع ، فانتعشت البلاد وخف اضطراب الأمن وصدت الغارات الصليبية عن الثغور وجددت المحارس وكثرت المنشآت الخيرية إلى أن توفى أبو عمرو عثمان سنة ٨٦٣ هـ ، فكان كما قال ابن أبى دينار : "ختام الدولة الحفصية وانفصام ، نظام المحاسن الباقية فى البلاد الافريقية" وأصاب البلاد وباء الطاعون الجارف آخر عام من القرن التاسع سنة ٨٩٩ ، فأتى على أكثر من مائة الف وأسفر الخلاء والخراب والمجاعة والشدة التى خلفها الوباء عن ملك أبى عبد الله. فلم يستطع الثبات أمام ثورات الأعراب وخرج أكثر البلاد عن حكمه ، وسقطت مملكة الإسلام فى الأندلس ، واستولى الأسبان على سواحل الجزائر وليبيا ، وظهرت شوكة الأتراك العثمانيين فى البحر . ففكر السلطان أبو عبدالله الحفصى فى التقرب من الغازيين العظيمين الأخوين عروج وخير الدين ، ومكنهما من المراسى الجزائرية والتونسية واتفق معهما على أن يستقل بالمراسى ، وأن يعترفا له بالولاء ، ويؤديا إليه خمس المغانم البحرية . وبذلك عمرت خزائنه بعد الفراغ . إلا أن التفات السلطان سليم الأول العثمانى الى خير الدين وعروج ، واصطناعهما ، أوقع أبا عبد الله الحفصى فى خوف عظيم حمله على السعى فى التآمر مع ملك تلمسان الزيانى أبى حمو الثالث لمقاومة الأتراك[1] وكان صاحب تلمسان متحيزا للأسبان محتميا بهم ، فكان أبو عبد الله الحفصى يطمع فى أن يغمس يده فى ذلك الإناء ولكن الموت عاجله قبل أن يقضى حاجة مما يريد ، فاستولى خير الدين على تونس سنة ٩٣٥هـ ، عقب استيلائه على تلمسان . وكان عمل الحسن بن أبى عبد الله الانتهاء فى منهج أبيه إلى أسقط غاية . فركب البحر مستنجدا بالأسبان وأتى مع أسطول الامبراطور شارلكان ، وحكمه فى البلاد. واستمر النزاع بين القوات التركية والقوات الأسبانية ، التى كان يأتى بها الحسن ثم ابناه أحمد ومحمد ، إلى أن تم النصر للأتراك بوصول الأسطول العثمانى تحت قيادة الوزير الشهير السردار سنان باشا سنة ٩٨١ فاندرجت الدولة الحفصية فى طى الاحتلال الأسبانى .

(١) الخلاصة النقية السعودى ص ١٨٥ ط تونس .

مقبرة حفصية أندلسية بالمرسى

بعد هذه الإلمامة بمجمل تاريخ الدولة الحفصية، نلتفت إلى ساحل البحر شمالى مدينة تونس، لنرى المرسى فى جون عميق بين الصخور الحمراء لجبل المنار وقفاف الرمل بجبل قمرت . وتمتد منه إلى الغرب، وراء المشارف العليا لقرطاجنة وجبل المنار، بساتين وآبار متصلة بأريانة وسطرانه حتى وادى مجردة. وقد أشرفت على تلك الجنات الخضراء، بين الأطلال الشامخة القائمة يومئذ على أرض قرطاجنة، المقابر المشهورة بجبل المنار ومرسى جراح، من الربى الواقعة قبلى المرسى .

ولسنا نستطيع أن نقدر للمرسى أكثر من هذا الوصف عند قيام الدولة الحفصية، إذ لا أثر ولا خبر يقتضى خلاف ذلك . ولكنا نقف، فى فجأة غريبة، على ابتداء ظهورها مع ابتداء تطلع السلاطين الحفصيين إلى السيطرة على البلاد الأندلسية، وما تبع ذلك من أحوال ربطت بين السلطنة الحفصية بتونس وبلاد الأندلس. وأن للحفصيين أواصر وثيقة عريقة تربطهم ببلاد الأندلس، وبطانة من أعيان الأمراء والساسة والأثرياء، الأندلسيين تتزايد يوما فيوما منذ استقلت السلطنة الحفصية . ناهيك بأسر : ابن خلدون، وابن عصفور، وابن الأبار، وابن عميرة، وابن مردنيش، والجوهرى، والرميهى، وحازم القرطاجنى، وابن سعيد، وابن سيد الناس، وابن جابر الوادئاشى. حتى أن هيئة شورى السلطان كانت تتركب من دائرتين : الأندلس، والموحدين، كما أفاده ابن خلدون[1] .

(١) كتاب العبر ص ٢٩٢ ج ٦

كانت فى المرسى، إلى الأيام القريبة، زاوية تسمى "زاوية سيدى صالح" لا يعرف لها مسمى أكثر من ذلك . وفى شهر رمضان سنة ١٣٨٠ هدمت الزاوية بسبب أشغال أجرتها بلدية المرسى ورفع التابوت الخشبى، الذى كان هو الضريح القائمة عليه الزاوية، فإذا تحته قبر رخامى مكتوب بدائرته بالنقش البارز :

" بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، هذا قبر الشيخ الحسيب ذو الرئاستين أبو عبد الله بن الشيخ المقدس أبو محمد الرميمى نبيه أهل المرية توفى فى آخر شهر رجب فى عام أربعة وستين وستمائة" .

وتاريخ هذا القبر يعود بنا إلى خبر دخول أهل الأندلس فى الدعوة الحفصية . فمحمد ابن عبد الله بن الرميمى، صاحب القبر، هو من سلالة بنى أمية ملوك الأندلس . نسب إلى قرية من أعمال قرطبة اسمها رميمة . ثم استقر جده، أبو يحيى، بالمرية . ولما استولى الموحدون على المرية، نصب عبد المؤمن واليا عليها، فثار أهل المرية على واليهم، وقدموا على أنفسهم أحد أعيانهم : وهو أبو يحيى ابن الرميمى . فاسترجعها الأسبان منه عنوة، وفر ابن الرميمى إلى مدينة فاس. وفى سنة ٦٢٥ لما قام ابن هود فى مرسية محاولا الاستقلال بمملكة الأندلس عن بنى عبد المؤمن، قام حفيد ابن الرميمى، وهو صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى يحيى، فاتحد مع ابن هود وأصبح وزيرا له، وتصرف فى سياسة دولة ابن هود الثائرة، وولاه ابن هود على المرية،

التى كان وليها جده من قبل . ثم حدثت أسباب نفرة داخلية بين ابن الرميمى وابن هود قيل إن ابن الرميمى اغتال بسببها ابن هود واستبد بملك المرية . ثم خرج من المرية إلى تونس ، واستقر بها ، وتأثل فيها . هذا ما أورده من خبره ابن سعيد فى المغرب وابن الخطيب فى أعمال الأعلام وابن خلدون فى الجزء الرابع من ديوان العبر والمقرى فى نفح الطيب . فيكون قدومه إلى تونس ، لما قامت دولة بنى الأحمر وحاولت امتلاك المرية ، فبايع جماعة من أهل المرية أبا زكريا الحفصى . وجاء وفد البيعة سنة ٦٤٠[1] فيكون قد جاء بالبيعة ، ولما لم تنجح خطة التحاق المرية بالدولة الحفصية فعلا ، بقى فى تونس كما بقى غيره من أمراء الأندلس وأعيانها مثل ابن مردنيس[2] ، وعاش فى حظوة لدى الحفصيين . ويظهر أنه اختار المرسى مقاما له ، لأن الأندلسيين الوافدين على تونس فى أول الدولة الحفصية ، وهم الذين طفحت آثارهم الأدبية بالحنين إلى البساتين والقصور والبرك والرياض ، كما يشهد لذلك الباب الرابع لنفح الطيب فيما نقل عن ابن سعيد وغيره ، كانوا هم الذين أشاعوا ذوق سكنى البساتين بالضواحى حتى تأثر بهم الملوك وسراة الدولة ، كما جزم بذلك الأستاذ جورج مرسلى أخذا من كلام ابن سعيد الذى نقله المقرى فى شأن المستنصر .

وبذلك يصح لنا أن نقدر أن رجالا من اللاجئين الأندلسيين إلى تونس فى القرن السابع هم الذين ابتدأوا يسكنون المتنزهات بالمرسى فلذلك قبروا فيها . وعندنا شاهد آخر : فإلى جنب قبر ابن الرميمى ، تحت نفس التابوت ، فى زاوية سيدى صالح : مشهد فى شكل مقوس منقوش على لوح من رخام ، فى الجدار الذى تحته القبر ، مكتوب فيه بالنقش البارز :

" بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت هذا قبر الشيخ الفقيه المكرم الأفضل الأسرى الأمجد الموقر المرحوم أبى القاسم محمد بن عميرة المخزومى رحمة الله عليه ورضوانه لديه توفى عفا الله تعالى عنه فى اليوم السابع من شهر ربيع الأول المبارك عام تسعة وسبعمائة قدس الله روحه وبرد ضريحه " .

وهذا أيضا من أعلام العلماء والأدباء التونسيين الذين وفدوا من الأندلس وقد ذكر الزركشى وفاته بقوله : " وفى الخامس لربيع الآخر من السنة المذكورة ٧٠٩ توفى الفقيد الأديب أبو القاسم ابن عميرة وكان من فضلاء الكتاب الشعراء حذا حذو أبيه وزيادة[3] "

وإن كان تاريخ الوفاة ، عند الزركشى ، يختلف عما فى المشهد يسيرا . ووالده الذى يشير إليه الزركشى هو الإمام الكاتب القاضى أبو المطرف بن عميرة البلنسى . ترجم له المقرى فى نفح الطيب[4] وذكر له رسائل بليغة وقصائد بديعة صدرت عنه عند سقوط بلنسية ، وذكر

(١) المونس لابن أبى دينار ص ١٢٦ ط تونس أولى

(٢) كتاب العبر لابن خلدون ص ١٢٨ ج ٤

(٣) تاريخ الدولتين ط تونس ص ٤٦

(٤) الجزء الأول ص ١٤٦ ط الأزهرية بمصر

له تأليفا فى سقوط ميورقة ، وكان قد كاتب ابن الأبار إلى تونس برسالة عجيبة وقصيدة غراء ، جوابا عن رسالة منـــه ، فوصف له سقوط بلنسية ومآل كثير من بلاد الأندلس . أورد الرسالتين المقرى فى نفح الطيب آخر الباب السابع ، وقد نقل عن الأبار بعض ماترجم به لابن عميرة فى كتاب تحفة القادم . وبعد تنقل بين سلا ومكناسة وسبتة ، قصد ابن عمـــيرة تونس . قال المقرى : " ولم يزل منذ فارق الأندلس متطلعا لسكنى أفريقية معمور القلب بسكناها ولما قدم تونس مال إلى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمن ثم استقضى بالاربس ثم بقابس مـدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصى واحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره وتوفى ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٨" هذا ابن عميرة الأب ، الذى قال الزركشى ان ابنه ، صاحبنا صاحب القبر ، " حذا حذوه وزيادة " فهذا أيضا أحد الناشئين فى ظل الحظوة السلطانية بتونس من أبناء جالية الأندلس ، قد أقام فى المرسى كما أقام ابن الرميمى ، ودفن بها .

وإلى جانب هذين القبرين ، قبر ثالث شاهده لوح رخامى مقوس كتب عليه نقشا بالبارز : بعد البسملة والصلاة " كل نفس ذائقة الموت هـذا قبر العبد الفقير عبد ربه محمد بن مظفر الصنهاجى توفى يوم الثلاثاء . . . . شهر رجب عام سبعين وسبعمائة رحمه الله وغفر له " .

ولا نستطيع أن نحقق عن جزم ، من هو هذا العبد المرحوم ، ولا أن نثبت بالقطع اندلسيته من عدمها . ولكننا نستقرب ، من كونه ابن مظفر الصنهاجى ، أن يكون أيضا من سراة الأندلس وسلائل ملوكها . فإنه من المعلوم أن فرعا من بنى زيرى من صنهاجة كانو استحدثوا ملكا فى غرناطة على يد حيوس بن ماكسن ، وكان من أعظم ملوك الطوائف ، ثم كان باديس ابن حيوس هو الذى مصر غرناطة ، وأخط قصبتها ، وشاد قصورها وحصونها ، وكان يلقب " المظفر " كما نص على ذلك ابن خلدون[1] .

وعلى كل حال ، سواء ترجح ما قدرنا فى معرفة ابن مظفر أم لا ، فإن كل ما عرفنا إلى حد الآن ، ممن دفن بالمرسى فى القرن السابع ، رجال من ذوى النعمة ، يظن بهم أنهم اتخذوا فيها منتزهات ، وآثروا الدفن فيها لقلة الدواعى لدفنهم فى غيرها . فليس فى المرسى مدافن تعرف قبل القرن السابع ، ولا فيها مقابر رجال من العلماء والصالحين مثل الذين فى جبل الشيخ أبى سعيد . ولا يبعـد أن تكون الزاوية التى وجدت فيها هـذه القبور محرسا أو رباطا صغيرا دفنوا فيه لقرب بساتينهم منه . فإلى الشمال من هذه القبور الثلاثة ، على نحو ثلاثمائة متر ، فى مشرف مطل على جون آخر ، وسط أرض المقـبرة الحديثة المعروفة اليوم بمقبرة سيدى عبد العزيز ، يوجد قبر عليه شاهد رخامى مقوس صغير مكتوب فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد كل نفس ذائقة الموت هذا قبر عبد الله بن محمد ابن عزفى (كذلك أظنها) الوهرانى توفى رحمه

(١) ص ١٨٠ ج ٦ كتاب العبر .

الله فى الرابع والعشرين لشهر رجب الفرد سنة تسعة وستين وستمائة وأنه توفى شهيدا رحمه الله رحمة واسعة " .

فتاريخ هذا المشهد، المتأخر عن القبور المقدمة، مع ما كتب عليه من أنه مات شهيدا، يقرب أن وفاته كانت عند نزول الفرنسيين على قرطاجنة. إلا أن الشهر وهو رجب يبعد ذلك لأن النزول كان كما يفيد ابن خلدون فى ذى الحجة ٦٨ ، وأنه دام ستة أشهر فيكون شهر رجب ثامنا أو تاسعا . فلعل مناوشات استمرت يسيرا بعد الإقلاع، أو أن ذيولا للحوادث امتدت باضطراب الأعراب أو المرتزقة . وأن فى وصف الشهادة الذى حلى به صاحب القبر الكريم لما يقرب أنه كان مقيما حول رباط وأنه دفن حيث استشهد قريبا من الرباط كما قال شوقى :

فكفن فى الصوارم والعوالى
وغيب حيث صال وحيث جالا

العبدلية

فى المرسى ثلاثة قصور يسمى كل واحد منها " العبدلية " وتسمى ثلاثتها مجموعة ، " العبدليات " ذكرها المسعودى فى الخلاصة النقية بقوله : "القصور الشاهقة والبساتين الشهيرة بالعبدلية " وقد ذكر هذا المؤرخ الأديب أنها من آثار أبى عبد الله الحفصى ، الذى كانت ولايته صدر القرن العاشر ، عند تضعضع الدولة الحفصية ، ومن العجائب أن هذه العبدليات مع اشتهارها وضخامة شأنها لم يذكرها واحد من المتقدمين على صاحب الخلاصة النقية . وهذه القصور معروفة بالمرسى مذكورة فى الأدب والتاريخ وكتب الآثار والمخططات . وقد شاع ذكرها شعرا ونثرا فى العصر الحسينى على أقلام الورغى والمسعودى و بيرم الرابع بالإفراد مرة « العبدلية » و بالجمع أخرى « العبدليات » .

وهى ثلاثة قصور متقاربة ، بين البساتين والآبار والجوابى . أحد هذه القصور متصل بحد السفح الشمالى لجبل المنار ، يعرف الآن باسم "الحفصى". والثانى هو الذى أقيم عليه قصر الملك الحسينى أحمد باشا الثانى قبالة مقهى "الصفصاف" وإلى جانب الجامع الكبير بالمرسى. والثالث ، ويسمى "العبدلية الكبيرة"، هو الواقع وراء دار البريد والحديقة البلدية بالمرسى فى الجهة الغربية منها قرب الحى المسمى «الأحواش».

أما العبدليتان الأوليان ، بالحفصى والصفصاف ، فلقد دخلا منذ القرن الماضى فى القصور الملكية ، وتغيرت صورتهما ، وأقيم عليهما قصران على غير طرازهما القديم. فالحفصى كان للملك الحسينى على الثالث ، وأسكنه بعض بناته و بنيه ، وهو الآن فى حوزة ابن ابنه السيد سيف الله بن اسماعيل .

وقصر الصفصاف كان امتلكه جوزاف رافو الإيطالى من رجال دولة الملك أحمد الأول « المشير » ثم ملكه على الثالث وأسكنه أبناءه واختص به منذ نصف قرن تقريبا ابنه الملك أحمد الثانى فبنى فيه مبانى كثيرة هى اليوم فى تصرف بلدية المرسى .

ولم تبق لهاتين العبدليتين أهمية أثرية ، نظرا إلى التغيير الكلى الذى دخل عليهما ، إلا بما عسى أن يكشفه الحفر عن أسسيهما أو الوقوف على رسوم الملكية المتسلسلة لهما إذا وجدت فى خزانة أملاك الدولة أو دفترخانة الأملاك العقارية .

وأما العبدلية الكبرى فهى ذات الأهمية الفائقة التى لا نظير لها فى كامل بلاد المغرب العربى فإنها باقية إلى الآن على وضعها القديم ، لم يدخل عليها إلا تغيير يسير فى بعض النواحى لا يصعب بحال إرجاعه إلى أصله .

وإننا إذا استثنينا قصر الحمراء بغرناطة ، فإننا لا نجد فى المغرب العربى بناية على حالها تمثل طراز المبانى السكنية الفخمة قبل العصر التركى غير هذا القصر وهو قصر العبدلية الكبيرة بالمرسى . فإنه وإن يكن من آثار القرن العاشر ، إلا أنه ، على كل حال ، جاء مغربيا حفصيا ، قبل أن يتأثر فن العمارة بالمؤثرات التى دخلت عليه فى النصف الأخير من القرن العاشر باستقرار الحكم التركى .

وإننا لنعجب لفقيد هذا الفن ، الأستاذ جورج مرسای ، كيف أبدى الأسف ، من جهة لأننا لا نجد مبنى من المساكن الخاصة فى العهد الحفصى وما قارنه من الملك المرينى بالمغرب الأقصى والملك الزيانى بالجزائر ، إلا أطلالا بالية أو أخبارا واردة فى الكتب ثم يثبت لنا أنه وقف على قصر العبدلية ، وألم بوصفه ، ونشر صورته ، وأثبت نسبته إلى العهد الحفصى ومع ذلك يدرجه فى آثار العصر التركى ، مع قصور باردو وقصور منوبة وقصر الحكومة بالقصبة ، بل لا يتخذه إلا مثالا لبيت تونسى فى هذا الدور التركى .

وهذا القصر كان يحيط به بستان بنى فيه الآن من الجهة الجنوبية ، أمام القصر ، المدرسة الاعدادية للبنات ، والمستشفى الجهوى بالمرسى على النهج المسمى اليوم نهج الطاهر صفر وتقع فى مقابلة القصر أمام واجهته بئر ثرة معينة هى اليوم داخلة فى حديقة المستشفى . وقد بقيت الجهة الخلفية للقصر واليمينية له ، أعنى الشمالية والشرقية ، فى أكثرها بستانا عموميا تابعا للبلدية حيث كان يقوم قوس عند مدخل البستان عند ابتداء شارع الاستقلال .

أما الجهتان الأخريان فقد بنيت فيهما مبان محدثة أكثرها مساكن بشارع الاستقلال ونهج الشيخ محمد عبده ونهج الأحواش ونهج عبدالعزيز الثعالبى .

ويتركب هذا القصر من دهليز يقع فى الجهة الغربية الشمالية منه ، يفتح إلى الجنوب ، أمامه أقواس وله مدخل فخم عليه قبة مدورة بداخلها نقوش زخرفية فى الجص ، على نحو ما هو فى المعاهد الحفصية والمبانى الأندلسية والمغربية فى ذلك العصر . وإلى شرق هذا الدهليز يقع القصر ممتدة واجهته إلى الجنوب فى مقابلة السقيفة التى كانت مبنية على مدخل البستان على نهج الطاهر صفر اليوم . ويتركب القصر من طوابق متراكبة ذات قاعات وأبهاء تحيط كلها بحنايا وأقباء تتوسطها بركة ماء مربعة يشبه وضعها شبها قويا بهو البركة بقصر الحمراء بغرناطة . وقد ردمت هذه البركة منذ نحو من سبعين سنة وغرست فى وسطها نخلة .

وكان هذا القصر ، من أول العصر الحسينى معدودا فى القصور الملكية ويسمى « سانية السلاسل » أو « برج السلاسل » لسلاسل كانت عند مدخله مشدودة إلى مدافع مغروسة

أفواهها فى الأرض ولما سكن الملك محمد الثانى (المشير) بالمرسى أسكن فى هذا القصر الوزير مصطفى خزنه دار وكان له وكيل خاص مكلف بالقيام عليه مثل سائر القصور الملكية ولما انتصبت اللجنة الدولية للمراقبة المالية سنة ١٢٨٦ ، أسكن فيه الوزير خير الدين المتفقد الفرنسى إلى أن انتصبت الحماية الفرنسية وأصبح المتفقد مديرا للمالية فبقى ساكنا فيه . ولما ولى الملك محمد الناصر ١٣٢٥ إلى ١٣٤٠ ، ملك هذا القصر واسكن فى جزء منه أحد أبناء الوزير مصطفى خزنه دار وكان من خاصته ، وبقى أكثر القصر خاليا .

وإن سكنى الملك أبى عبد الله الحفصى للمرسى وتعميره هذه القصور ، مع علمنا بما كان عليه أمره وأمر الدولة فى عصره ، ليذهب بالفكر مذاهب فى تقدير الظروف التى كان فيها اتخاذ أبى عبد الله هذه العبدليات مساكن له .

أفلا تكون بساتين المرسى اشتهرت بأزهارها وأشجارها وكرومها ودواليها وبركها ونواعيرها حتى أغرت بنفسها الملك ؟

أولا تكون القصور التى استجادها الأندلسيون الذين سبقوا إلى سكنى المرسى ، قد آلت إلى الملك فعمرها وفخم شأنها وطاب له المقام فيها ؟

أو أن الثروة التى زخرت بها خزائن أبى عبد الله بعد أن خويت ، دفعت به إلى تجديد شى مما كان لأسلافه فى جنات أبى فهر ، فبعد بمنتزهه عن مدينة تونس ، المكلومة المنكوبة ، إلى هذا الساحل الساحر ينفض على شواطئه أكداره وهمومه ؟

أو هل أن قصدا إلى استصفاء الأموال ، بعد أن عرف مكان الحاجة إليها ، دفع به إلى أن يضعها بمنجاة ، وأن يفكر فى الفوز بنفسه وبها ، يوما ما ، إلى المشرق أو إلى المغرب ؟ فإن بين عينيه أحاديث أسلافه ، الذين حين نزل بهم ما أعجزهم دفاعه مهدوا لأنفسهم سبيل الفرار ، موفرين أكثر مايستطاع الابقاء عليه من المال والذخيرة . فالسلطان الحفصى ، قبله بقرنين ، وهو أبو يحيى بن اللحيانى ، كان قد باع كل ما فى القصور الحفصية ، حتى الكتب ، وجمع قناطير الذهب والفضة واليواقى وارتحل بها إلى مصر ، فأقام ، آمنا مكرما ، فى ظل الملك الناصر بن قلاوون ، حتى توفى بالاسكندرية [1] وقد أدركه ابن بطوطة فيها ، ووصف طيب مقامه فى رحلته .

أفلا يكون أبو عبد الله ، وقد تخلى تقريبا عن الملك لعروج وخير الدين ، نازعا إلى إقامة هنية على شاطىء المرسى ، تخامره فكرة الخروج عند الاضطرار ؟ فيكون قد جمع أهله وماله ، لهناء حله أو لأمن ترحاله .

ومساعيه التى أثبتها التاريخ ، لدى سلطان تلمسان ، ولدى سلطان مصر الغورى ، والسر الغامض الذى كان يكتنف سفارته إلى الغورى حتى حمل على قتل السفير كما ذكر ابن أبى دينار [2] لعل لكل ذلك ارتباطا بهذه المقاصد .

---

(١) الزركشى : تاريخ الدولتين ط تونس ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣

(٢) المؤنس ص ١٥١ ط تونس الأولى .

على أن فى تراب المرسى سرا مدفونا ، قد يكون له شأن قوى فى إثارة هـذه الشكوك والافتراضات ، ذلك هو حديث :

الجامع وما تحته

فإن الجامع الكبير بالمرسى الذى بنى على صورته الحاضرة منذ خمس وعشرين سنة تقريبا بعناية الملك أحمد الثانى الحسينى ، قد كان توسعة وتشييدا لجامع بناه فى أوائل القرن الهجرى الحاضر والده الملك على الثالث ، وأن الملك عليا قد بنى الجامع على أطلال جامع خرب يقال إنه حفصى ، وقد وجدت فى خراباته أسطوانتان رخاميتان شكلهما حفصى مكتوب على كل منهما بحفر بسيط كلمة "حبس" ، فأقامهما الملك على فى بناء الجامع . وقد أدركتهما أنا هنالك قبل أن يجدد الجامع على صورته الحالية .

وفى العام الماضى شرع فى بناء مئذنة جديدة للجامع فى زاويته الشمالية الشرقية فكشف الحفر عن دار مبنية تحت الأرض ، ليست انقاضا متهدمة ، ولكنها بناء قائم له أبواب وغرف ، وفى زاويتها بالواجهة اسطوانة مثبتة فى ملتقى الجدارين على الصورة الشائعة فى المبانى الحفصية فى تونس . وقـد تحدث الناس عن نفق تحت الأرض واصل ما بينها وبين البحر . وإن وجود هـذه الدار على صورة بناء قصد جعله تحت الأرض ، وكونها متصلة بمسجد وما قيل من اتصالها بنفق إلى البحر ، ليسمح كل ذلك بتقدير أن تكون مختبأ معدا لطوارق الحدثان . ويترجح أن يكون صاحب العبدليات ، مما هو معلوم من الخوف والاضطراب اللذين كانا يخيمان على ملكه ، هو الذى اتخذ ذلك النفق فى الأرض : إما لاختفاء عند الخطر ، أو لاكتناز أموال أو أسلحة أو ذخائر وجعل من المسجد ساترا لها ، وصارفا للأنظار عن متعهديها . وإن فى تعدد القصور وتقاربها واتصال البساتين ما يعينه على ما يريد .

وإن لهذا نظيرا يشهد له فى شؤون الحفصيين : هو ما ذكر المقرى فى نفح الطيب [1] فى أخبار الرئيس أبى عبد الله بن الحسين بن سعيد ، ابن عم ابن سعيد صاحب المغرب ، وكان مقربا من السلطان أبى زكريا الحفصى . ولما مات أبو زكريا لم ينل عند ابنه المستنصر ما كان له عند أبيه بل عزله ونكبه ، ثم احتاج إليه فى بعض الأمر ، فاستدعاه ، فأخبر ابن الحسين الملك المستنصر أن أباه ، الملك أبا زكريا ، صنع دارا عظيمة تحت الأرض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه . ولاشك أن هذا الخبر يكون متناقلا عند الحفصيين فى مناقب أسلافهم وتقاليد سياسة ملكهم . فيكون أبو عبدالله قد اقتدى به . أو لعل الدار تكون هى بعينها التى خلفها أبو زكريا ، ويكون أن العارف بسرها بعده من الأندلسيين ، وهو الرئيس ابن الحسين ، ما يقرب أن تكون من الأسرار التى بين ابى زكريا وبين بطانته الأندلسية ، وقد كان رجال من أعيانها ، مثل ابن الرميمى ، مقيمين فى المرسى ، وربما يكون منهم مؤتمنون عليها .

---

(١) ص ٤٧٨ ج ١ . أزهرية .

وهنا ننتهى إلى التساؤل عن مصير كل هذه المبانى ومحتوياتها ، ظاهرا وخفيا ، فيتضح لنا ، فى غير كلفة ، أن اليوم الأسود ، الذى أعدت له ، إن لم يكن قد أتى فى عصر بانى العبدليات ، فقد أتى على ولده "الحسن" بحدثان وفاة الأب ، فاحتاج إلى تجهيز ثورة على الأتراك وركب البحر إلى أسبانيا حتى أتى بالأسطول الأسبانى . والله يعلم كم انفق فى وجهته تلك . وعاد إلى أسبانيا بعد هزيمته بالقيروان ، ولم يكن بلاشك إلا متأثلا مالا فى كل ذلك . على أن خروج الحسن إلى أسبانيا ولا سيما فى المرة الأولى يقرب جدا أن يكون من المرسى ، وان تكون الدار الخفية ، والنفق الواصل للبحر منها ، ممشاه فى تلك اللحظة الرهيبة إلى سوء المصير الذى لقيه هو وأسرته ولله الأمر من قبل ومن بعد .

هذه أهم الأمور التى أردت بسطها بين أيديكم ، وتوجيه أنظاركم إليها ، راجيا أن يتفضل مؤتمركم الجليل بتقرير أمور اقترحها نتيجة لعرض هذه العجالة :

الأول : التوجه إلى الحكومة التونسية بطلب المحافظة على قصر العبدلية الكبير (برج السلاسل) باعتباره المثال الفريد الباقى من طراز الهندسة المدنية فى المغرب العربى ، والاعتناء بترميمه وإرجاع ما بدأ يفقد من روعته الفنية .

الثانى : توجيه أنظار علماء الآثار ومنظماتهم إلى إجراء بحوث وحفريات بين القصر الحفصى والجامع الكبير بالمرسى وقصر العبدلية الصغرى بالصفصاف عساها تكشف عما يثبت أو ينفى بعض ما افترضناه بشأن تاريخ المرسى فى العهد الحفصى .

الثالث : تعيين لجنة من أهل التخصص يطلب من الحكومة التونسية السماح لها بالعمل فى خزائن الوثائق بمصلحة أملاك الدولة ودفتر خانة الأملاك العقارية ، لتضبط تنقلات ملكية السوانى والآبار والمروج فى ما بين قمرت وسكرة والمرسى وقرطاجنة عساها تتوصل إلى كشف شىء عن حقيقة تلك البساتين فى الدولة الحفصية : تطبقة على أعيان الأراضى بالمسح ، وتستهدى فيه بما يؤخذ من نصوص الأدب وكتب التاريخ .